ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

افعال الكلام بين ابن العرندس الحلي و ابو البقاء الرُندي

فاطمة راضي سلمان الشاوي : طالبة دكتورا , قسم اللغة العربية ,
و آدابها بجامعة قم , قم , ايران
أ.د مهدي مقدسي نيا : الاستاذ المشرف , قسم اللغة العربية
و آدابها بجامعة قم , قم , ايران
أ.د حسن مقياسي : المشارك الاول , قسم اللغة العربية بجامعة
قم , قم , ايران
المشارك الثاني , قسم اللغة العربية بجامعة
alrazizynab@gmail.com
m.megados,@gom.ac.ir

الملخص :

ان هذا المقال يضم دراسة أفعال الكلام التداولية لشاعرين كبيرين من شعراء الدولة العباسية هما ابن العرندس الحلي وابو البقاء الرُندي .فابن العرندس أستخدم أفعال الكلام للتعبير عن معاناته الروحية والدينية , للدفاع عن اهل البيت سلام الله عليهم و استخدم أفعال الكلام التقريرية والانشائية للاشادة بفضائلهم , ومكانتهم الروحية , انه قد وظف الاسلوب الخطابي المليء بالصور البلاغية مما يعزز تأثيره على المتلقي .فالتعبير عن الالم , وقضايا الظلم والمعاناة التي تعرض لها اهل البيت ع عبر عنها الشاعر بافعال الكلام بمثل التنديد باسلوب عاطفي مفعم بالمشاعر. والشاعر ابو البقاء الرُندي رثاؤه واسترجاعه في قصيدته النونية الشهيرة والتي ترثي سقوط الاندلس , وشحن الهمم , استخدم أفعال الكلام التقريرية والانشائية ايضاً كالنهي والامر والنفي والتمني ألخ ....لاخبار الفاجعة ,للتأثير على المتلقي , فالتذكير بالهوية الوطنية , لغة تعيد التأكيد عن القيم الثقافية والحضارية معتمداً على أفعال الكلام ,تؤكد الانتماء والتواصل مع الأمة .ان الشاعرين يحملان عاطفة متأججة نابعة من القلب , هذا مايميزهما عن غيرهم من الشعراء , فقد استعملا المحسنات البديعية في شعريهما , لان هذه السمة كانت طاغية في العصر العباسي , –كالاستعارة , والكنياية ,كل ذلك أضاف الى شعريهما جمال التصوير والتناغم الموسيقي العذب .لذلك استخدم المنهج الوصفي التحليلي

الكلمات المفتاحية : أفعال الكلام ابن العرندس ابو البقاء الرُندي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وأحمده حمد الشاكرين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين رسول الله وآله الطهار وكل من والاه الى يوم الدين ,منطلقا للدراسات الحديثة لافعال الكلام في التداولية , فقد تطرق اليها المسلمون والعرب لابل منذ ارسطو, فمن هنا برز الجانب الفكري والوجداني لكشف الخصائص الفنية للنص , ان افعال الكلام جاءت نوانها كمنهج علمي محدد فكشف الخصائص الفنية للنصوص الادبية لابراز الابداع والمعنى ,لذلك جيء بشاعرين كبيرين كل منهما يتميز بشخصيته وبراعته, بابن العرندس الحلي أجاد بشعره الشجي اتجاه اهل بيت النبوة صلوات الله عليهم , انه قد ادمى قلوب الكثير وكذلك ابو البقاء الرُندي حز

قلوب الصادقين برثائه المؤثركل له محبي وله وجهة نظر وله نكهة خاصة , فصدق العاطفة جلية في شعريهما ,وهذا مايميزهما عن غيرهم من الشعراء.

التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي القديم

يهدف هذا المقال الى التأصيل لافعال الكلام في التراث العربي , والتي درست ضمن مباحث علم المعاني – الخبر والانشاء – من طرف النحويين والبلاغيين وعلماء الاصول . وبيان ان هذه الدراسات كانت تداولية ركزت على معان الاصول وخروجها الى معان فروع و بحسب السياقات ومقاصد المتكلمين ؛ وهوماباب يعرف في نظرية أفعال الكلام بالقوى الانجازية الحرفية والقوى الانجازية غير الحرفية.

الخبر والانشاء

تندرج الافعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث "علم المعاني " وتحدد بالخبر والانشاء " أو " الطلب " وقد اهتم بدراسة هذه الظاهرة النحاة والبلاغيون والاصوليون . كما انفرد الفلاسفة والمناطقة بدراسة الخبر بعد أن ميزوه عن الانشاء , وبينوا حدود كل منهما . ومرت نظرية " الخبر والانشاء" بمراحل انتقلت فيها من آراء وملاحظات متفرقة الى اصول ناضجة وباحث مؤسسة بعد أن خضعت مصطلحاتنها لبحوث مستفيضة وآراء مختلفة ليستق في الاخير جهازها المصطلحي والمفاهيمي.

فأول المعاييرالتي اعتمدها العلماء القدماء للتمييز بين الاسلوبين هو معيارالصدق والكذب , فاذا كان الكلام هو "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه" فان ابن سينا (ت٤٢٨ هجرية) يقسمه الى خبروطلب . و" الخبرأو القضية هو الذي يصلح ان يصدق أو يكذب , وبعض ذلك ليس قضية [...] الذي في الدعاء , والمسألة , والامر, والنهي , والنداء. ويعضد هذا الكلام التعريف الذي أورده نجم الدين الكاتبي القزويني (ت٦٩٣ هجري): الكلام التام ان احتمل الصدق والكذب فهو الخبر وان لم يحتمل فهو الانشاء.

أما السكاكي (ت٦٢٦ هجرية) فيرى ان لاحاجة للتعريف الحدي للخبر والطلب الا انه يعرفهما بلوازمهما: فالخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب [...] وهو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي او الاثبات. أما الطلب فهو الذي يستدعي مطلوبا لا محالة.

وقد أكد السيوطي (ت٩١١ هجري) أن الكلام منحصر في الخبر والانشاء، فالخبر ما احتمل الصدق والكذب، والانشاء ما لا يحتمل ذلك، والطلب ضرب من الانشاء يشمل: الامر، النهي، الاستفهام، النداء، التمني.

بينما قسم الخطيب القزويني (ت٧٩٣ هجري) الكلام الى خبر وانشاء. ويقسم الانشاء الى طلب وغير طلب. والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويشمل الانشاء الطلبي: الامر, النهي, الاستفهام, النداء, التمني. أما غير الطلبي فيشمل: الترجي, القسم, المدح, الذم, التعجب, صيغ العقود. وهذه كلها تُعدّ أفعالاً كلامية إنجازية بتعبير أوستن وسيرل.

وقد ذهب ابن خلدون (ت٨٠٨ هجري) إلى تقسيم الجمل إلى خبرية وانشائية. فالخبر ما كان له واقع يطابقه أو لا يطابقه، والانشاء ما ليس له واقع خارجي بل يوجد مدلوله عند التلفظ به.

ومن المعايير أيضًا إدخال "القصد" في الحكم: فالكلام يصير خبراً إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به (إبراهيم الشيرازي). وهذا معيار تداولي يُضاف إلى المعيار المنطقي.

وهكذا خلص العلماء العرب إلى تصوّر يميّز بين الخبر والانشاء بمعياري "القصد" و"إيجاد النسبة الخارجية."

المقاربة النحوية

تصدى النحاة العرب القدماء لدراسة جملة من الظواهر النحوية والصرفية والصوتية ضمن أبواب كثيرة ومباحث متعددة؛ فكيف كانت هذه الدراسة؟ هل كانت دراسة شكلية بنيوية خالصة؟ أم دراسة سياقية تداولية؟

يرى بعض الباحثين أن الدراسات النحوية العربية كانت دراسات شكلية اتسمت بالاتجاه إلى المبنى أساسًا، ولم يكن قصدها المعنى إلا تبعًا. فكان الاهتمام منصبًا على الصيغة أكثر من المعنى، فجاءت دراستهم تحليلية لا تركيبية، أي أنها تعنى بمكونات التركيب نفسه أكثر من مقاصده التواصلية.

غير أن آخرين ذهبوا إلى أن نحوهم لم يكن شكليًا خالصًا، إذ درسوا أغراض الأساليب ومقاصدها وملابسات الخطاب ودلالته، واعتبروا الإعراب فرعًا للمعنى. وهكذا تناولوا اللغة دراسة تداولية ربطت بين الخصائص الصورية للعبارات وخصائصها التداولية.

ولعل القول الراجح هو التمييز بين نوعين من الدراسات النحوية:

- فريق متقدمون مثل **سيبويه** و**ابن هشام**، الذين رأوا أن بنية العبارة تعكس أغراضها الكلامية، فاهتموا بالمقام والمعنى.
- وفريق متأخرون مثل **الزمخشري** و**ابن مالك**، الذين ركزوا على البنية التركيبية أكثر، وأقصوا العنصر المقامي.

وقد صنف النحاة الجمل أسلوبيًا إلى خبرية وإنشائية، ودرسوا القوى الإنجازية الحرفية للافعال الكلامية مقرونة بصيغها المتعارف عليها، وكذلك القوى الإنجازية المستلزمة مقامياً.

وهذا دليل على أن نحوهم لم يكن منفصلًا عن أصول الاستعمال وقواعده، بل أدركوا أن الأصل أن يتفق لفظ الكلام مع معناه، ولكن قد يخرج عن هذا الأصل لمعانٍ أخرى يحددها المقام.

المحسنات البديعية عند ابن العرندس الحلي وأبو البقاء الرُندي

يحفل تاريخ البشرية بأصناف من الناس تختلف أهواؤهم وتتباين أفكارهم. وإذا توافرت للشاعر أدوات صناعته وسلامة عقيدته، أمكن له أن يخلد على مر الدهور.

ابن العرندس الحلي

ينتمي ابن العرندس إلى شعراء العقيدة الذين جعلوا من الشعر وسيلة لنشر الفكر والدفاع عن أهل البيت (ع). ومع شيوع التقليدية في تلك الحقبة، تميز شعره في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) بالصور الشعرية المبدعة وبالقدرة على التأثير في القلوب.

أبو البقاء الرُندي

أما أبو البقاء الرُندي فقد استعمل البلاغة والمحسنات البديعية لنقل مشاعره تجاه سقوط الأندلس. في قصيدته النونية الشهيرة نلمس الجناس، التصريع، الطباق، المقابلة، التورية، حسن التقسيم... إلخ. وقد جاء شعره صرخة مدوية تعبّر عن الألم الجماعي.

أمثلة للجناس عند الرُندي:

- قوله» :*وتسلسلت عينا سلاسل صدقه ... فلذاك بات مقيدًا ومسلسلا*) «جناس اشتقاقي: تسلسلت/سلاسل/مسلسلا.(
- قوله» :*كسرى بعينيه الصحاح وخده ... النعمان بالخال النجاشي خولا*) «جناس ناقص: خال/خولا.(
- قوله» :*وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم ... دار المقامة في القيامة مؤلا*) «جناس ناقص: المقامة/القيامة.(

أمثلة للجناس عند ابن العرندس:

- قوله» :*وجناته جورية وعيونه ... حورية تسبي الغزال الأكحلا*) «جناس ناقص: جورية/حورية.(
- قوله» :*كتب العليّ على صحائف خدّه ... نوني قسيّ الحاجبين ومثلا*) «جناس ناقص: علي/على.(
- قوله» :*شربوا بكاسات القنا خمر الفنا ... مزج البلاء به فاماسوا في البلا*) «جناس: القنا/الفنا، البلاء/البلا.(

وهكذا يتضح أن الشاعرين برعا في توظيف المحسنات البديعية، لكن كل منهما اتجه إلى غاية مختلفة:

- ابن العرندس: الهوية الدينية والوجدانية.
- أبو البقاء: الهوية القومية والتحذير من الغفلة.

ماهي نظرية الفعل الكلامي؟

يمكن تعريف نظرية أفعال الكلام على أنها الفكرة التي مفادها أن اللغة تحتوي على معنى يتجاوز مجرد تعريف الكلمات المستخدمة. فاللغة أداة لأداء وظائف مختلفة، وتسمى أيضًا "أفعال الكلام."

تشير النظرية إلى أن معنى ما يُقال يتأثر بنوع الكلام، وبنية النطق، والسياق الذي يستخدم فيه. كما تشرح كيف يمكن للكلام أن يخلق فعلاً أو نتيجة. وهذه النظرية جزء من **البراجماتية** (التداولية)، أي دراسة استخدام اللغة في السياق الاجتماعي.

الفعل الكلامي هو أي لفظ يؤدي وظيفة في التواصل. على سبيل المثال:

- قد يُستخدم الكلام للادلاء ببيانات،
- أو طرح أسئلة،
- أو الاعتذار،
- أو الوصف والإقناع...

كان الفيلسوف البريطاني **جون أوستن** أول من قدم هذه النظرية في كتابه *كيف تفعل الأشياء بالكلمات* (١٩٥٩م). وقد بين أن بعض الألفاظ لا تصف حقائق فقط بل تُنشئ أفعالاً، مثل قول العروسين "أوافق" في عقد الزواج، أو تسمية سفينة، أو أداء قسم.

ثم واصل الفيلسوف الأمريكي **جون سيرل** تطوير النظرية بالاعتماد على أعمال أوستن وفلاسفة آخرين كـ فيتيجشتاين وغرايس.

تصنيف أوستن

صنّف أوستن الأفعال الكلامية إلى ثلاثة مستويات:

١. **الفعل التلفظي :(Locutionary Act)** إنتاج أصوات أو جمل ذات معنى.
٢. **الفعل الإنجازي :(Illocutionary Act)** الوظيفة التي يؤديها الكلام (أمر، نهي، وعد...).
٣. **الفعل التأثيري :(Perlocutionary Act)** الأثر الذي يحدثه الكلام في المستمع (إقناع، تخويف، إمتاع...).

ثم اقترح خمسة أنواع من الأفعال:

- **الأفعال الحكمية (الاقرارية)** :مثل الوصف، القول، الحكم.
- **الأفعال التمرسية (الانفاذية)** :مثل الأمر، الدفاع، النصح.
- **أفعال التكليف (الوعديات)** :مثل الوعد، القسم، الالتزام.
- **الأفعال العرضية (التعبيرية)** :مثل التأكيد، الإنكار، الاعتراض.
- **أفعال السلوكيات (الاخباريات)** :مثل الاعتذار، الشكر، التعزية، المباركة.

إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام من قبل سيرل

أصدر جون سيرل كتابه *الأفعال اللغوية* (١٩٦٩م)، فطور فيه أفكار أوستن، مشددًا على أن فعل القول لا يمكن أن يتحقق دون قوة إنجازية. كما أدخل مفهوم **الأفعال غير المباشرة** .(Indirect Speech Acts)

شروط نجاح الفعل الكلامي عند سيرل

١. **شرط مضمون القضية** :وصف مضمون الفعل.
٢. **الشروط التمهيدية** :قدرات المتكلم واعتقادات المستمع والعلاقة بينهما.
٣. **شروط الصدق** :جدية المتكلم أثناء الإنجاز.
٤. **الشروط الجوهرية** :الغرض التواصلي من الفعل (مثل التزام المتكلم بوعده).

مثال توضيحي

قول شخص لآخر" :*تركتَ الباب مفتوحًا* "قد يُفهم كـ:

- أمر بإغلاق الباب.
- أو عتاب على سوء التصرف.
- أو تذكير أدبي.

إعادة تقسيم سيرل للأفعال الكلامية

- **الإخبار :(Assertives)** تمثيل الواقع (تأكيد، وصف).
- **الأوامر :(Directives)** حمل المخاطب على فعل معين.
- **الالتزامية :(Commissives)** إلزام المتكلم نفسه (وعد، عهد).
- **التعبيرات :(Expressives)** التعبير عن الحالة النفسية (شكر، اعتذار).
- **الإعلانات :(Declarations)** إحداث تغيير بمجرد التلفظ (كإعلان الزواج).

الاتصال اللغوي

يحدث اتصال اللغة عندما يتحدث متحدثون بلغتين أو أكثر ويؤثر كل منهما على الآخر. وتسمى دراسة هذا النوع **التواصل اللغوي.**

من المرجح أن يكون تعدد اللغات شائعًا في معظم تاريخ البشرية، ومعظم الناس اليوم متعددو اللغات. عندما يتفاعل المتحدثون بلغات مختلفة عن قرب، فمن الطبيعي أن تؤثر لغاتهم بعضها في بعض. وقد يحدث التواصل اللغوي عند حدود اللغة، أو بين لغات مختلفة كنتيجة للهجرة أو الاحتكاك.

ومن أبرز مظاهره:

- **التقارب اللغوي،**
- **الاستعارة**)اقتراض الألفاظ(،
- **إعادة التأقلم.**

وقد تبادلت العربية واللغات الأخرى العديد من المفردات، كما حدث في الاقتراض بين الإنجليزية والفرنسية أو بين الرومانية واللغات السلافية. هذا التفاعل لا يقتصر على المفردات، بل يمتد إلى علم الأصوات والصرف.

الخاتمة

أجاد كلا الشاعرين في توظيف مفهوم أفعال الكلام:

- **ابن العرندس الحلي** ركز على الهوية الدينية والعاطفة الروحانية. فجاءت كلماته موجعة، كلها ألم وحسرة وتفجع لظلم أهل بيت النبوة عليهم السلام.
- **أبو البقاء الرُندي** ركز على الهوية القومية والتحذير من الغفلة، فجاء شعره في رثاء الأندلس مؤثرًا وحافزًا للوعي الجمعي.

كلاهما يوظف البلاغة وأفعال الكلام لخدمة غاياته بأسلوب مؤثر ومحزن، فصدق العاطفة كان جليًا عند كليهما، وهو ما خلد ذكرهما وميزهما عن غيرهما من الشعراء.

قائمة المصادر والمراجع

١. الآمدي، سيف الدين علي :*الأحكام في أصول الأحكام*، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان :*الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.

٣. ابن خلدون، عبد الرحمن :*المقدمة*، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤م.

٤. ابن هشام الأنصاري :*شرح قطر الندى وبل الصدى*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٦م.

٥. ابن يعيش، موفق الدين :*شرح المفصل*، عالم الكتب، بيروت.

٦. تمام حسان :*اللغة العربية معناها ومبناها*، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧. الجابري، محمد عابد :*بنية العقل العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٨. الجرجاني، عبد القاهر :*دلائل الإعجاز*، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.

٩. الخطيب القزويني :*الإيضاح في علوم البلاغة*، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٠. الزركشي، بدر الدين :*البرهان في علوم القرآن*، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

١١. الزهري، نعيمة :*الأمر والنهي في اللغة العربية*، جامعة الحسن الثاني.

١٢. السكاكي، يوسف :*مفتاح العلوم*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

١٣. سيبويه :*الكتاب*، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٤. السيوطي، جلال الدين :*الإتقان في علوم القرآن*، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٧٥م.

١٥. الشاوش، محمد :*أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية*، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ٢٠٠١م.

١٦. صحراوي، مسعود :*التداولية عند العلماء العرب*، دار التنوير، الجزائر، ٢٠٠٨م.

١٧. الغزالي، أبو حامد :*المستصفى في علم الأصول*، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٨. المبرد، أبو العباس :*المقتضب*، تحقيق عبد الخالق عظيمة، بيروت، ١٩٦٣م.

١٩. المتوكل، أحمد :*آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي*، دار الهلال العربية، الرباط، ١٩٩٣م.

٢٠. محمد حسن عبد العزيز :*كيف ننجز الأشياء بالكلمات*، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢١. محمود أحمد نحلة :*آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م.

٢٢. طه عبد الرحمن :*تجديد المنهج في تقويم التراث*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

٢٣. فرانسوا أرمينكو :*المقاربة التداولية*، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

٢٤. عتيق، عبد العزيز :*علم البديع*، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٥. محمد زكي العشماوي :*قضايا النقد الأدبي*، دار الكتاب الجديد.

٢٦. أبو البقاء الرُندي :*شاعر الأندلس*، محمد رضوان الداية، مكتبة سعد الدين، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٧. ابن رشيق القيرواني :*العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٨. محمد بنيس :*الشعر العربي الحديث بناياته وإبدالاته*، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٠م.

٢٩. عبد الله التطاوي :*المعارضات الشعرية*، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٠. شجاع مسلم العاني :*قراءات في النقد الأدبي*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.

٣١. حسين جمعة :*المسبار في النقد الأدبي*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.